

ألا بذكر □ تطمئن القلوب



«يتعرض جسم الإنسان لبعض الحالات الحسنة والسيئة، وكذلك فإنَّ روحه أو نفسه هي الأخرى تتعرض لحالات متشابهة بالرغم من أنَّ الاختلافات العديدة بين الروح والجسم، فالجسم مثلاً له حجم ووزن في حين لا تمتلك الروح ذلك، فالقليل من الطعام الذي يرد بدن الإنسان سوف يؤثر على وزنه، ولكن لو أضيف عالم من الفكر والعلم لما طرأ تغير على وزنه أبداً».

كما أنَّ سعة الجسم محدودة، أما الروح فلا حدود لها، فكلُّ لقمة يتناولها الإنسان تحتلُّ حيزاً من معدته، وشيئاً فشيئاً تمتلئ المعدة حتى يشعر الإنسان بالشبع ومن ثمَّ يكون عاجزاً عن تناول لقمة إضافية، حيث يبقى كذلك إلى أن تصرف المعدة الطعام، في حين أنَّ الروح لا تعرف الشبع أبداً، فكلَّما غذيتها بالعلم والمعرفة ازدادت جوعاً وقالت: (رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه/ 114)، فالروح لا تصرف المعلومات الأولى لكي تستعد لاستقبال المعلومات الجديدة، يقول الإمام عليّ (ع): "كلُّ وعاء يصبق بما جُعِلَ فيه إلّا وعاء العلم فإنَّه يتسع".

كما أنَّ الجسد يضعف شيئاً فشيئاً ويشيخ أما الروح فإنَّها لا تشيخ أبداً. الجسد يموت ويتلاشى ويتحول إلى ذرّات متناثرة، ولكن الروح لا تعرف الموت أو الفناء، الروح باقية تنتقل إلى عالم آخر إذا ما تلاشى الجسد. قال الرسول الأكرم (ص): "خُلِقْتُمُ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ".

في الوقت الذي توجد فيه اختلافات بين الروح والجسد فإنَّ هناك شبهاً بينهما في نواح عديدة، فالجسد لكي يسعد وينشط يحتاج إلى أنواع من الأطعمة والأشربة، والروح هي الأخرى تحتاج إلى غذاء خاص، وغذاؤها هو العلم والحكمة والإيمان واليقين. وكما أنَّ الجسد يبذل إذا لم يصله الغذاء الكافي فإنَّ الروح هي الأخرى تبذل إذا لم يصلها غذاؤها الخاص.

يقول الإمام عليّ (ع): "إنَّ النفوس تكلُّ كما تكلُّ الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكيم".

والروح تمرض كما يمرض الجسد، ولذا فهي تحتاج إلى علاج ودواء، فإذا كان الجسد يمرض بسبب خلل ينشأ في ميزان مزاجه أو في مجموع المواد التي يتألف منها نقصاً أو زيادة، وبشكل عام خلل في المعادلة التي خلقه □ عليها، فإنَّ الروح لها معادلتها وميزانها الخاص بها، الروح تحتاج إلى الحب

وتحتاج إلى نظام أخلاقي وتحتاج إلى العلم والمعرفة، وتحتاج إلى الإيمان والعقيدة، وتحتاج إلى سند تعتمد عليه وترجوه في كل أعمالها، وكل هذه الأشياء لازمة لاستقرار وتعادل ميزان الروح وإلا فإن أي خلل يهدد هذا التوازن سوف يسلب الإنسان سعادته واستقراره وطمأنينته.

إن بعض الناس يشعرون في أعماق نفوسهم بالضجر. إن هذا القدر من الإحساس الذي يحرمهم من تذوق طعم السعادة ويسلبهم الشعور بالاستقرار والسلام يؤدّي بهم إلى الذبول والقلق دون أن يدركوا العلة في ذلك، فبالرغم من توفر كل أسباب الحياة إلا أنهم لا يشعرون بالرضا أو السعادة.

إن على هؤلاء الأفراد أن يؤمنوا بوجود جذب روحي.. يجب أن يدعنا لهذه الحقيقة ويعترفوا بأن الإيمان حاجة فطرية وتكوينية بل إنها أسمى حاجتنا الإنسانية.

فإذا انتهلنا من نبع الإيمان وأضاء نور أرواحنا، وتجلّى في أعماق نفوسنا أدركنا معنى السعادة واللذة والبهجة. يقول سبحانه في محكم كتابه الكريم: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/ 28)، وقال عليّ (ع): "إنّ الله جعل الذكر جلاءً للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة". ►